

أضواء البيان

@ 249 @ أسكنهم بمكة المكرمة أن يرزقهم [] من الثمرات ، وبين في سورة البقرة أن إبراهيم خص بهذا الدعاء المؤمنين منهم ، وأن [] أخبره أنه رازقهم جميعاً مؤمنهم وكافرهم ثم يوم القيامة يعذب الكافر وذلك بقوله : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بِلَادًا آمِنًا وَاِرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا } . قال بعض العلماء : سبب تخصيص إبراهيم المؤمنين في هذا الدعاء بالرزق أنه دعا لذريته أولاً أن يجعلهم [] أئمة ولم يخص بالمؤمنين فأخبره [] أن الظالمين من ذريته لا يستحقون ذلك . قال تعالى : { وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّتْ هُنَّ أَجْمَعًا إِنْ زِيَّ جَاءَ عَلَيْكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْدَالُ أَهْدِي الظَّالِمِينَ } فلما أراد أن يدعو لهم بالرزق خص المؤمنين بسبب ذلك فقال : وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم با [] واليوم الآخر فأخبره [] أن الرزق ليس كالإمامة فإ [] يرزق الكافر من الدنيا ولا يجعله إماماً . ولذا قال له في طلب الإمامة لا ينال عهدي الظالمين ولما خص المؤمنين بطلب الرزق قال له : { وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا } . قوله تعالى : { رَبِّ نُنَّا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ } . بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن إبراهيم طلب المغفرة لوالديه وبين في آيات أخر أن طلبه الغفران لأبيه إنما كان قبل أن يعلم أنه عدو [] فلما علم ذلك تبرأ منه كقوله : { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَاهَا إِيَّاهُ فَلَمَّ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ } ونحو ذلك من الآيات . ! 7 7 ! قوله تعالى : { إِنْ زُمَّ مَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمِ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ } . بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه يؤخر عقاب الكفار إلى يوم تشخص فيه الأبصار من شدة الخوف وأوضح ذلك في قوله تعالى : { وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا } . ومعنى شخوص الأبصار أنها تبقى منفتحة لا تغمض من الهول وشدة الخوف . قوله تعالى : { مَّهْطِعِينَ } . الإهطاع في اللغة : الإسراع ، وقد بين تعالى في مواضع أخر أنهم يوم القيامة يأتون مهطعين أي مسرعين إذا دعوا للحساب كقوله تعالى : { يَخْرُجُونَ مِنَ الْآسِ جَدَاثٍ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ مَّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ } . وقوله : { يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْآسِ جَدَاثٍ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِصُونَ } وقوله : { يَوْمَ تَشَقَّقُ الْآسُ رِضًا } .

عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ { إلى غير ذلك من الآيات .